ضابطة التكامل الحضاري ومحدده الفلسفي في فكر الإمام علي عليه السلام

(دراسة في نهج البلاغة)

الباحث: مسلم زغير كريم

أ.د. حميد سراج جابر

جامعة البصرة- كلية التربية للعلوم الإنسانية- قسم التاريخ

ملخص البحث:

إن التكامل والتناغم مع الحضارات والأمم الأخرى دون ضابطة أو محدد له يجعل ذلك ذا أثر سلبي على الأمة المتكاملة مع تلك الأمم بحكم الأختلاف في بعض المعتقدات والعادات المجتمعية فضلاً عن تحريف بعض الشرائع لدى تلك الأمم ، ومن هذا المنطلق وضع الإمام علي (عليه السلام) ضابطة فلسفية لتقنين التكامل وضبطه وفق الصياغات الشرعية والمجتمعية في هذه الأمة لتحصينها من تلك الإنحرافات بصورها المختلفة سواء كانت اجتماعية او اقتصادية أو عقائدية أو فكرية وغيرها ، وهو الأمر الذي تصدى له الإمام (عليه السلام) فكانت هذه الضابطة احدى مقومات ذلك التصدي .

الكلمات المفتاحية : الضابطة الفلسفية ، نهج البلاغة، الأمم الأخرى ، فكر الإمام علي(عليه السلام) .

Control of Cultural Integration and Its Philosophical Determinant in the Thought of Imam Ali (peace be upon him) (Study in Nahj al-Balaghah)

Researcher : Muslim Zugair Kareem
Prof. Dr. Hameed Siraj Jaber
Dept. of History, College of Education for Human Sciences,
University of Basrah

Abstract:

Integration and harmony with other civilizations and nations can't be effective without a governing standard will negatively impact the nation that is integrated with other nations by virtue of the difference in some beliefs and customs, as well as distorting some of the laws of those nations. From this standpoint, Imam Ali (peace be upon him) established a philosophical standard to codify integration and control it according to legal and societal formulas to protect the nation from these deviations, in their various forms, whether social, economic, doctrinal or ideological and so on. Imam (peace be upon him) confronted this matter and this standard is one of the ingredients for that confrontation.

Keywords: Philosophical standard , Nahj al-Balaghah , Other nations, Thoughts of Imam Ali

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٣ – المجلد ٤٥ – نيسان الأول لسنة ٢٠٢٠

ضابطة التكامل الحضاري ومحدده الفلسفي في فكر الإمام علي عليه السلام

(دراسة في نهج البلاغة)

إن فهم هذه الضابطة يتحقق من خلال التعمق في كلام الإمام علي (عليه السلام) ، وهي العلل والغايات الفلسفية التي وضعها الإمام (عليه السلام) لمنع التكامل الحضاري مع الأمم السالفة في بعض الأخلاقيات والأمور الحياتية المختلفة ، وهذه من أهم الضوابط بحكم صدورها المباشر من أمير المؤمنين (عليه السلام) وعدم خضوعها لآراء المفسرين وفلسفتهم مما يعني حتمية تحقق ما يذكره (عليه السلام) .

بطبيعة الحال إن العلل في الشرائع والعبادات وغيرها كثيرة ، فنجد في القرآن الكريم قوله تعالى "مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"[١] وقوله تعالى "وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"[٢].

ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام): (ان سأل سائل فقال : اخبرني هل يجوز ان يكلف الحكيم عبده فعلا من الأفاعيل لغير علة ولا معنى ؟ قيل له لا يجوز لأن الحكيم غير عابث ولا جاهل ، فإن قال قائل: فأخبرني لم يكلف الخلق ؟ قيل : لعلل ، فإن قال : فأخبرني عن تلك العلل معروفة موجودة هي أم غير معروفة ولا موجودة ؟ قيل : بل هي معروفة وموجودة عند أهلها ، فإن قال تعرفوها أنتم أم لا تعرفونها ؟ قيل لهم : منها ما نعرفه ، ومنها ما لا نعرفه)[٣].

وعن الإمام علي (عليه السلام) قال : (فَرَضَ اللَّه الإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ – والصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ – والزَّكَاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ – والصِّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ – والْحَجَّ تَقْرِبَةً لِلدِّينِ– والْجِهَادَ عِزّاً لِلإِسْلَامِ – والأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ – والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلسُّفَهَاءِ – وصِلَةَ الرَّحِمِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ – والْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ – وإِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ وتَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ – ومُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِيجَاباً لِلْعِفَّةِ – وتَرْكَ الزِّنَى تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ وتَرْكَ اللِّوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ – والشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَاراً عَلَى الْمُجَاحَدَاتِ – وتَرْكَ الْكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ والسَّلَامَ أَمَاناً مِنَ الْمَخَاوِفِ – والأَمَانَةَ نِظَاماً لِلأُمَّةِ – والطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلإِمَامَةِ)[٤]

هذا النص يوضح علل العبادات وابعادها الفلسفية لذلك نجد في بعض الكتب هنالك من أفرد باباً تحت مسمى علل الشرائع[٥]، بل هنالك من ألف كتاباً تحت هذا المسمى[٦]، ومن هنا جاءت الضابطة الفلسفية للتكامل الحضاري التي تفهم من طبيعة كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) عن الأمم السالفة وفي مختلف الجوانب الحياتية سواء الاجتماعية ، الاقتصادية ، الفكرية والسياسية ونحو ذلك .

ولعل في أطار هذه الضابطة ايضاً فلسفة بلاء الأنبياء واثارها والتي يشترك فيها كل الرسل في مختلف الأمم، إذ قال الإمام علي (عليه السلام) : (لَوْ كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وعِزَّةٍ لَا تُضَامُ – ومُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَه أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وتُشَدُّ إِلَيْه عُقَدُ الرِّحَالِ – لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الِاعْتِبَارِ – وأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الِاسْتِكْبَارِ – ولَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً والْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً)[٧].

فلسفة البلاء هنا واضحة اذ لولا ذلك البلاء لما أصبح تميز بين إيمان الخلق وكان الكل سواء ، وحتى المؤمن يكون إيمانه إما عن رهبة ، أو رغبة في الحصول على مكاسب لذلك يقول الإمام (عليه السلام) : (لَكِنَّ اللَّه سُبْحَانَه يَبْتَلِي خَلْقَه بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَه – تَمْيِيزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ)[٨] وهذا يبين علة الأختبار للخلق بشكل وآضح ومفهم .

هدف الإمام (عليه السلام) من وضع الضابطة الفلسفية لمنع التكامل الحضاري مع الأمم السالفة دون هذا التمحيص للحفاظ على المجتمع من التدخلات المنحرفة والدعوات الباطلة بغض النظر عن نوعها واصحابها ، ولذلك نجده (عليه السلام) يبين علة تقوية الظالم وسبب سيطرة الأباعد على المجتمع حينما قال: (أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ – ولَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ – ولَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ – لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاه بَنِي إِسْرَائِيلَ – ولَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيه مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً – بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وقَطَعْتُمُ الأَدْنَى ووَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ)[٩]

بغض النظر عن مناسبة هذا الكلام لكن طبيعته لا تحدد بزمان ولا مكان او فئه ، إذ أنه (عليه السلام) بين فلسفة سيطرة الاباعد – وهذه السيطرة قد تكون مادية أو فكرية – بسبب خذلان الناس للحق وهو الإمام علي (عليه السلام)[١٠] ، فالضابطة الفلسفية هنا واضحة تحتم عليهم نصرة الحق والتطابق مع أصحابه وخذلان الباطل وهو معاوية بن أبي سفيان واصحابه ، هذا إذا أرادوا الحفاظ على المجتمع والدولة ، وإلا تكون النتيجة تيه بني إسرائيل ووجه الشبه لحوق الضعف والمذلَّة والمسكنة لهم حيث لم يجتمعوا على العمل بأوامر اللَّه تعالى فرماهم بالتيه وضرب عليهم الذلَّة والمسكنة ، ثمّ أخبرهم بعاقبة أمرهم في التخاذل ، وهو إضعاف التيه والتفرّق بعده لأبتعادهم عن الإمام (عليه السلام) ومقاطعة بعضهم له مع دنوّه وقربه من الرسول (صلَّى اللَّه عليه وآله) ووصلهم لمعاوية وغيره مع بعده عنه، وهذا قد يكون تيه عقائدي أي تخبطهم بين الحق والباطل أو تيه مادي بسيطرة الظلمة عليهم ، وان الاستمرار على ذلك دون ضابطة أو محدد يؤدي مضاعفة ذلك التيه وهذا ما عناه (عليه السلام) في قوله : (ليضعف لكم التيه من بعدي اضعافاً)[١١].

والحاكمية بطبيعة الحال في هذا التيه هو الحق لأنه الأساس في تحقيق مبدأ الحفاظ على المجتمع والدولة بشكل عام ، ولذلك نجد الإمام (عليه السلام) يعلل أسباب وقوع الفتن والخراب في العالم بقولة :(إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ[١٢] أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ – يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّه– ويَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّه – فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ – لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ – ولَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٣ – المجلد ٤٥ – نيسان الأول لسنة ٢٠٢٠

الْبَاطِلِ – انْقَطَعَتْ عَنْه أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ ولَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ[١٣] ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ – فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِه)[١٤].

وهنا الإمام (عليه السلام) يؤكد على الضابطة الفلسفية ومحورها الذي يدور في فلك المرحلية في الوصول الى الفتن وهو الأمر الذي منع بموجبه الإمام (عليه السلام) التكامل الحرفي مع هذه الأفكار إذ أن مراحل إكتمال الفتنة تقوم على ما يأتي :

أولاً : هوى النفس والتعصب للفكرة .

ثانياً : الغرور وأصدار الأحكام الباطلة .

ثالثاً : التسلط على رقاب الناس .

وتشترك كل الأمم في اتباع الأهواء ومخالفة كتاب الله تعالى ، الأمر الذي أراد به الإمام (عليه السلام) انقاذ الناس منه بما وضعه من ضابطة فلسفية للتميز بين الحق والباطل وتجنب سيطرة الشيطان وحاكميته ، مما يعني عدم التكامل والتناغم في مثل هذا الحالة مع تلك الأمم التي لا يعرف حقها من باطلها ، واتباعهم للشيطان لتلافي ما حل فيها من فتن واضطرابات أدت الى خراب أممهم .

وبالمحصلة فإن الألتزام بالحق وما أراده الإمام (عليه السلام) يقود الى تحقيق جملة مكتسبات :

المكتسب الأول : عدم الأخلال بالمجتمع أو الدولة من أي طرف كان والسير فيها بمنهج الأنبياء جميعاً لأن الإمام (عليه السلام) عنى بالحق نفسه[١٥]، مما يعني أن اتباعه فيه نجاة الامة لأن منهجه منهاج رسول الله (صلى الله عليه واله) الذي قال فيه: (انت مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي)[١٦] ، وهذا الاتباع يجنب الامة ما حل بالأمم السابقة بعد وفاة انبيائها أو الغياب عنهم حينما خالفوا الرسالات السماوية كما حدث – مثلاً– لبني إسرائيل بعد غياب النبي موسى (عليه السلام) "أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ"[١٧] واتخذ العجل الهاً لهم ولم يستطع هارون (عليه السلام) ان يعمل معهم شيء[١٨].

وهنا فائدة الضابطة الفلسفية في عدم التكامل مع اصحاب تلك الأفكار المنحرفة الضالة، للتخوف من تكرار سامري موسى (عليه السلام) في الأمة الجديدة[١٩] – ولا نقصد شخصاً وأنما فكراً – وإضلال الناس عن طريق الحق كما حدث مثلاً بعد استشهاد النبي محمد (صلى الله عليه واله) إذ ضلت الامة الإسلامية وتركت وصيته في أهل البيت (عليهم السلام) وطريق الحق الإمام علي (عليه السلام) وهذا معنى قوله : (تركتم الحق وراء ظهوركم وقطعتهم الأدنى ووصلتهم الابعد).

المكتسب الثاني : الحصانة من التبعية للشيطان وهو الأمر الذي وقعت فيه العديد من الأمم السالفة ، فإن الضابطة الفلسفية تحدد عدم التكامل الحضاري مع تلك الأمم على اعتبار خذلانهم للحق ونصرهم للباطل،

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٥ – نيسان الأول لسنة ٢٠٢٠

أو المزج بينهما وفق مصالحهم الشخصية كما فعل بني اسرائيل ونهاهم الله تعالى عن ذلك في قوله عزوجل "وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"[٢٠]

المكتسب الثالث : الإلتزام بهذا الضابطة يؤدي الى الحفاظ على المجتمع من الإنحراف الفكري فضلاً عن عدم سيطرة الظلمة وأمثالهم ، وهو أمر متجدد ولا يتحدد بزمان ومكان من عهد الإمام (عليه السلام) وما بعده والى يومنا هذا ، وهو ما نبه إليه (عليه السلام) بقوله السالق: (ولعمري ليضعف لكم التيه من بعدي اضعافاً)، بحكم أن عدم الإلتزام بكلامه (عليه السلام) المتطابق مع شرائع الله سبحانه وسنة رسوله (صلى الله عليه واله) يؤدي الى مضاعفة الإنحراف والتيه بين الحق والباطل والعدل والظلم ومن ثم سيطرة الظلمة وغيرهم على مثل أولئك المتخبطون في أفكارهم.

تلك المكتسبات وغيرها تؤدي الى تحقيق الأمان للمجتمع والحفاظ عليه حال السير على ما أراد الإمام (عليه السلام) ، وهذه غايته بحكم انه إمام مفترض الطاعة ويرى تكليفه الشرعي ان يقود الأمه الى كل ما فيه خير وصلاح لها، فنجده (عليه السلام) يحث على الألفة المجتمعية والتواصي بها بما ذكر لها من آثار ايجابية عند الأمم الأخرى في حال قيامها ، والآثار السلبية حال التفريط فيها، لذلك يضع (عليه السلام) ضابطة لكل منهج تفريطي يفرق بين أبناء المجتمع إذ شخص آثار ذلك عند الأمم السالفة بقوله: (فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وبَنِي إِسْحَاقَ وبَنِي إِسْرَائِيلَ (ع) – فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الأَحْوَالِ وأَقْرَبَ اشْتِبَاه الأَمْثَالِ – تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وتَفَرُّقِهِمْ – لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ والْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ ... فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ ووَبَرٍ أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً وأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا – ولَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا)[٢١].

كأن الإمام (عليه السلام) يشير الى السنن الثابتة في تحديد هذه الضابطة الفلسفية ، فالثبات في التاريخ أو في سننه إنما هو على أساس القواعد التي لا تتغير ولكل نتيجة وأثر أسباب، فالتشتت فلسفياً يقود الى سيطرة الآخرين ويجعل أصحاب هذا التشتت عبيداً عندهم لعدم وجود الرابط الجامع .

والضابطة الفلسفية أيضاً دعوته (عليه السلام) الى تأمل امرهم في حال تشتتهم وتفرقهم، لذلك قال (عليه السلام): (فما أشد اعتدال الأحوال وأقرب أشتباه الأمثال) وهو أشارة الى وجه علة الاعتبار فإنهم إذا كانوا امثالهم واعتدلت احوالهم وتشابهت امورهم وجب اعتبار حالهم ولذلك أتى (عليه السلام) بالفاء للتعليل[٢٢] .

وقد أكدت الضابطة الفلسفية على عدم التكامل مع كل دعوة الى التفرقة والتشتت ، إذ إن دعوة الإمام (عليه السلام) الى تأمل أمرهم في حال تشتتهم والأعتبار بهم تبين علة قصده (عليه السلام) فالفائدة المرجوة من هذه الضابطة لما يترتب على الإلتزام بها من آثار أيجابية تعم المجتمع بشكل عام ، لأن عوامل تلك التفرقة والشتات قد تكون متجددة ومتواجدة في كل أمة من الأمم ، وأسباب تنميتها والدعوة لها متجددة أيضاً ، الأمر الذي أراد أمير المؤمنين (عليه السلام) علاجه من خلال منهجه الإصلاحي المتصدي لمثل تلك الدعوات بوضعه ضابطة فلسفية بينت علة وأثر الألفة أو التفريط بها .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٥ – نيسان الأول لسنة ٢٠٢٠

عضد الإمام (عليه السلام) هذه الضابطة وأكدها ببيانه الآثار التدميرية للتفرقة وما تعكسه من أبعاد ينظر لها على أساس فلسفي ولاسيما أنها تتعلق بالرضا الإلهي، فهي لاتؤثر فقط على الجانب الدنيوي لذا نجده (عليه السلام) يقول: (فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْه فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ – حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ وتَشَتَّتَتِ الأُلْفَةُ – واخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ والأَفْئِدَةُ – وتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ وتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ – وقَدْ خَلَعَ اللَّه عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِه – وسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِه – وبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ – عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ)[٢٣].

قدم (عليه السلام) لعلة خلع لباس الكرامة بما ذكر من الأسباب الموجبة لها، أي حذرهم ان يكونوا أمثال تلك الأمم في النفاق والافتراق فيقعوا في مهواة الذلة ومفازة الهلكة وهو مدعاة لخلع هذا اللباس واختلاف الآراء ومن ثم الحرب والبغي ، وأيضاً هو أشارة الى أن المستلزم لتلك الشرور ما نتج من تفرق الكلمة والذي يشمل كل قرن وكل امة[٢٤].

لقد حددت الضابطة هنا مسألة تفعيل تلك الأفكار المضلة في دب التفرقة بين أبناء المجتمع وهو الأمر الذي علله الإمام (عليه السلام) ، بالخروج من الرحمة الإلهية ولذلك يلاحظ على كلامه (عليه السلام) أنه قائم على الحث والتشخيص والعلاج وعلى وفق ما يأتي :

أولاً: هو حث لأنه دعوة للنظر في التكامل مع التجارب الماضية للأمم السالفة والأعتبار بها ولكن بنظرة فاحصة واعية .

ثانياً: هو تشخيص بحكم التدرج في الطرح أو في بيان المؤثر وهو التمزق والتشتت والأثر وهو المصادمة ووقوع القتال وسفك الدماء ، ومن ثم بالمحصلة النهائية حلول الغضب الإلهي .

ثالثاً: هو علاج لأنه بمثابة إبعاد وتصدي لمسببات هذا التمزق أي انه قاعدة وضابطة تبعد الناس عن هذا السلوك والتكامل إلا بالربط بين هذه الضابطة والتكامل من حيث الأستفادة التاريخية ودرء المخاطر والإنتفاع من اخطاء الماضين في بناء المستقبل .

وهو الأمر الذي نبه إليه (عليه السلام) منذ البدء في عدم التناغم حتى مع ابسط الأفكار المؤدية للتمزق وهي احدى فوائد الضابطة الفلسفية للتكامل الحضاري، وقد عكس القرأن الكريم هذه الخطوات بقوله تعالى "وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ"[٢٥]، لان اتباعه يؤدي الى التهلكة واحلال الغضب الإلهي ، وهو عين ما اردناه فيما أوردناه في هذا السياق .

إن هذه الضابطة تستدعي السير وفق نواميس الطبيعة التي ليس منها مخرج ولا يمكن تجاوزها بأي حال من الأحوال لذلك فالقاعدة تحكم العمل الحسن وآثاره والعمل القبيح وآثاره ولا يمكن ان يكون هناك تبادل أدوار أو آثار، ولكي يكون المجتمع على معرفة بأهم الآفات التي تؤدي الى احلال الغضب الإلهي وسلب النعمة والتفريط بالوحدة، ذكر الإمام علي (عليه السلام) الأسباب الموجبة لذلك ، الامر الذي يجب تجنبه

بأتباعه (عليه السلام) واتباع منهجه الإصلاحي القائم على الضابطة الفلسفية التي بينت علل ذلك في الأمم السالفة للإعتبار بها من الناس جميعاً .

لقد حارب الإمام (عليه السلام) التكبر بضوابط شرعية وأجتماعية وهنا كانت الضابطة الفلسفية لمكافحته ومواجهته بواسطة الإختبار والإبتلاء الإلهي إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك : (ولَكِنَّ اللَّه يَخْتَبِرُ عِبَادَه بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ويَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ ويَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِه – إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ – وإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ)[٢٦].

إن الإبتلاء والإختبار مثلما هو رحمة فهو علاج للأمراض وعلاج للأفات ومنها التكبر فالقاعدة والناموس تقتضي ان يحارب هذا المرض بما يبتلي الله تعالى به عباده ، فعلة الإختبار ومقصده واضح في كلام الإمام (عليه السلام) وهي إعطاء الفرصة للناس للتخلص من هذا المرض النفسي، لما له من أثار سلبية كثيرة ، الأمر الذي أراد (عليه السلام) ان يجنبهم أياه بما وضع من ضوابط تحدد من التكامل مع من يتصف ويتخلق بذلك .

بين الإمام (عليه السلام) شمولية آثار التخلق بهذه الأخلاقية المنحرفة لكل ابناء المجتمع وفي الوقت نفسه شمولية الضابطة الفلسفية في الإختبار والإبتلاء وذلك حينما ربط (عليه السلام) بين البغي والظلم وسوء عاقبة التكبر بقولة : (فَاللَّه اللَّه فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ – وآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ وسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ – فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى ومَكِيدَتُه الْكُبْرَى – الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ – فَمَا تُكْدِي أَبَداً ولَا تُشْوِي أَحَداً – لَا عَالِماً لِعِلْمِه ولَا مُقِلاً فِي طِمْرِه[٢٧])[٢٨]

يلاحظ أن الإمام (عليه السلام) دائماً ما يرجع الذهن الى تجربة الشيطان كأساس في تحقيق التكامل ولكن وفق الضابطة الفلسفية فالتحذير واضح من سوء عاقبة تلك الخصال الضالة ، التي حددتها الضابطة الفلسفية في قوله (عليه السلام) : (فإنها مصيدة إبليس العظمى) أي ان كل من يتصف بهذه الصفات فأنه من اتباع إبليس ولا يمكن التكامل معه بأي شكل من الأشكال .

يدعو الإمام (عليه السلام) الناس الى تقوى الله سبحانه والحذر منه فيما يترتب على البغي عاجلاً ام اجلاً من العقوبات الدنيوية والأخروية ، (والمراد بالبغي هنا العدول عن الحق والتجاوز عن الحد او السعي في الفساد ، أو الخروج عن طاعة الإمام ، اما سوء عاقبة الكبر فلكونه مؤدي الى الهلاك الاخروي الموجب للعذاب والنكال العظيم كما يفصح عنه تعليله وجوب الحذر منه وعن سابقية لانه مصيدة ابليس التي يصيد بها قلوب كل الناس ، فأن رذيلة الكبر تؤثر في نفس العالم مع علمة ، والفقير مع فقره وان كانت حالتهما تنافي ذلك ، فكيف بالغني الواجد لأسباب الطغيان والخيلاء)[٢٩] ، و " إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى"[٣٠] .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٥ – نيسان الأول لسنة ٢٠٢٠

إن تفعيل هذه الضابطة وجريانها والإلتزام بتحديداتها يحقق الكثير من المكاسب والفوائد ولعل أهمها :

الفائدة الأولى : التخلص من البغي والظلم والكبر ، والتي يشكل كل منها صفة إنحرافيه لها كثير من الآثار السلبية على المجتمع ، إذ أنه من الممكن لكل إنسان ان يتصور صورة مجتمع خال من هذه الصفات الثلاث فهو مجتمع تسوده كل معالم الإنسانية من تكافؤ وألفة وإخاء ونحو ذلك .

الفائدة الثانية : توخي الحذر من السير في خط الشيطان وطريق اعوانه اذا ما علمنا ان تلك الصفات من مكائد إبليس العظمى ، فالحذر منها وتلافيها يعني الابتعاد عن تبعيته.

الفائدة الثالثة : تخليص القلوب من الضغائن والعداوة على اعتبار أن هذه الصفات تساور قلوب الرجال ومن ثم التخلص منها يعني صفاء القلوب .

الفائدة الرابعة : من الممكن الوصول الى الرضا والعناية الإلهية عن طريق التخلص من هذه الصفات، لأنها مخالفة للشرائع الإلهية ، بحكم ان كل صفة من تلك الصفات تحمل الضغائن والعداوة للخلق وهذا ما يخالف الرحمة الإلهية فيهم .

إن الإلتزام بهذه الضابطة الفلسفية يحقق تلك الفوائد وغيرها وهذا ما يطمح له الإمام (عليه السلام) في منهجه الإصلاحي للمجتمع ، إذ يريده خالياً من كل تلك الصفات السلبية اللاأخلاقية التي كانت منتشرة عند كثير من الأمم السالفة والمجتمع الجاهلي ، ولا زالت ترسباتها في المجتمع الإسلامي .

وقد عملت الضابطة الفلسفية عملها في موضوع العصبية، فمحورها الأجتماعي لا يمنع من الإشارة الى العلة الفلسفية في هذا المقام وهذا ما نجده حينما حذر (عليه السلام) من العصبية والدعاة إليها بقوله : (أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وكُبَرَائِكُمْ ... فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ)[٣١] ، حذر الإمام(عليه السلام) في هذا النص من رؤساء القبائل لأنهم أشبه شيء برؤساء القبائل في الجاهلية في السيادة على قبائلهم[٣٢] ، وقد علل هذا التحذير وعدم الطاعة لهم لأنهم أساس العصبية أي التعصب لغير الحق ولهم المصلحة في استشراء العصبية القبلية والتفكك الاجتماعي، فلو وعى الناس الحياة الاجتماعية الصحيحة وراعوا المصلحة العامة وحدها ، لما بقيت لهؤلاء الرؤساء قيمة ، لأن وجودهم منوط بهذه العصبية ، وقد عرف الإمام (عليه السلام) ذلك، فوضع لهم ضابطة فلسفية للحد من نفوذهم بين الناس من خلال تشخيصه لأثرهم السلبي على البنية المجتمعية[٣٣] ، لذلك فالمتعصب ينتظره إذا لم يتب ما ذكره الإمام ابي عبدالله (عليه السلام) حينما قال: (من تعصب عصبه الله بعصابة من النار)[٣٤] ، وهي عاقبة أخروية تفصح عن مدى سوء هذه الصفة .

تتضح خطورة هذه الأخلاقية المنحرفة ومنشأ تحذير الإمام (عليه السلام) منها ، كما هو الحال في الصفة الأخرى وهي الغدر التي حذر منها أمير المؤمنين(عليه السلام) لاشتمالها على كثير من الآثار السلبية من خيانة وعدم الإلتزام بالعهد وغيرها ، لذلك نبذها (عليه السلام) والمتخلقين بها كما هو الحال في موقفة مع

مروان بن الحكم الذي رفض بيعته ووصفة بأنه كف يهودية على اعتبار خيانته لبيعته السابقة بعد مقتل عثمان بن عفان وعدم التزامه بعهد أو ميثاق مما استوجب التصدي له[٣٥] .

إن للغدر تحديداً فلسفياً يتعلق بالمقت الذي يتناسب مع هذا الفعل ، فبعض الأفعال لا يمكن لها ان تتجدد وتتطور وتتخلص من سلبياتها لأنها وفق النطاق الفلسفي سبب ونتيجة ، فلا يمكن ان يتكامل الإنسان مع الغادر بغض النظر عن الزمن .

لم يكتف الإمام (عليه السلام) بهذا الموقف لخطورته بل نظر إلية تاريخياً أيضاً في موقف آخر حينما رد على الأشعث بن قيس[٣٦]، الذي أشكل على الإمام (عليه السلام) في كلامه وقال: يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك ، فخفض (عليه السلام) بصره ثم قال :(مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي – عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّه ولَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ – حَائِكٌ[٣٧] ابْنُ حَائِكٍ مُنَافِقٌ[٣٨] ابْنُ كَافِرٍ واللَّه لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً والإِسْلَامُ أُخْرَى[٣٩] – فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ ولَا حَسَبُكَ – وإِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِه السَّيْفَ – وسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ – لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَه الأَقْرَبُ ولَا يَأْمَنَه الأَبْعَدُ)[٤٠].

إن القاعدة واضحة من كلام الإمام (عليه السلام) ونقصد الفلسفية منها وهي أن طبيعة عمل الأشعث وغدره حد فاصل في الناموس الطبيعي ناموس الفطرة لذلك ، فالضابطة الفلسفية تحدد هذا الفعل والصفة بحكم العقل والقواعد الطبيعية .

أشار الإمام (عليه السلام) الى جهل الأشعث بن قيس ونفاقه وهو انقص الناس عقلاً ، وقلَّة استعداده لوضع الأشياء في مواضعها ، وهذا تأكيد لعدم أهليّته للاعتراض على الإمام (عليه السلام) ، فضلاً ذلك اتصف بصفات بعيدة عن القيم الأخلاقية ومنافية للشرائع السماوية ومنها النفاق والغدر[٤١] حتى بأقرب الناس إليه وهم قومه وتركهم للسيف والحتف وهذا معنى قول الإمام (عليه السلام):(إن امرأً دل على قومه السيف)[٤٢].

والضابطة الفلسفية هنا هي مقت الغادر والاعتبار بفعل صاحبه وعدم التناغم معه لتأثيره السلبي على المجتمع ، وهذا ما قاله الإمام علي (عليه السلام) : (لحري أن يمقته الأقرب ولا يأمنه الأبعد) ، وهذه علة منع التكامل وضابطته الفلسفية لأن أمثال أولئك لا يأمن غدرهم ومكرهم بحكم تكرار أفعالهم في أي زمان ومكان ، وبذلك فإن الإمام (عليه السلام) بتشخيصه لهذه الصفة عند الأشعث أظهر له كثيراً من الرذائل التي يمكن تعميم أغلبها على كل خائن وغادر من أبرزها :

١. الجهل والغباء وذلك يظهر من قول الإمام (عليه السلام): (ما يديرك ما علي مما لي ؟) وهو نتيجة جهالته وتكلمه بلا روية ومعرفة فصار موجب للقدح والذم.
٢. الفجور والنفاق وذلك بحكم تلونه وعدم الثبات على الإسلام فضلاً عن انه ابن كافر ومشرك وهو قول الإمام (عليه السلام) : (منافق ابن كافر).

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٣ – المجلد ٤٥ – نيسان/الأول/السنة ٢٠٢٠

٣. اللعن وهي لكل غادر وراد على إمام زمانة وقوله (عليه السلام): (عليك لعنة اللاعنين) أي جواز اللعنة من قبل الاخرين .

٤. الجبن وعدم الشجاعة لأنه قد اسر مرتين في الكفر والإسلام، وبشكل عام المنافق يتصف بهذه الصفة ودليل ذلك ان يظهر خلاف ما يبطن بسبب نفاقه وجبنة.

٥. الكذب على الله ورسوله (صلى الله عليه واله) وهذا ماقصده الإمام (عليه السلام) من وصف الأشعث بالحائك كما فهم ذلك بعض الشارحين[٤٣] ، وعن الإمام الصّادق (عليه السّلام) ذكر الحائك عنده أنّه ملعون ، فقال :(إنما ذاك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله))[٤٤] .

٦. وبالمحصلة وجود صفة الغدر وهي من أهم الصفات لأنه غدر بقومه وسلمهم الى من يذبحهم للحفاظ على نفسه وأهله .

إن التحذير واضح في عدم التعامل مع أهل الغدر ، وفائدة الضابطة الفلسفية هنا من أجل كشفهم وعدم التكامل معهم لأن الهلاك في أتباعهم والمثال الشاخص أعلاه خير دليل على ذلك .

بالمجمل إن الضابطة الفلسفية للتكامل الحضاري لها فوائد كثيرة في حماية المجتمع من بعض السلوكيات المنحرفة التي لا تمت لتعاليمه بصله ، خاصة وأنها صادرة من أمير المؤمنين (عليه السلام) بمعنى ان كل ما يذكره واجب الإلتزام به لأنه إمام مفترض الطاعة ومنهجه منهاج رسول الله (صلى الله عليه واله) فكانت هذه الضابطة ضمن المنهج الإصلاحي لتهذيب كثير من سلوكيات المجتمع ، وفي الأمور الحياتية كافة بالأستفادة من تجارب الأمم السابقة بما ينسجم مع طبيعة الدين الإسلامي والشريعة المحمدية .

لذا فإن كلام الإمام (عليه السلام) شامل ومتحقق لا يتحدد بزمان ومكان أو فئه من الناس وإنما هو لكل الناس وبالتالي فإن الألتزام بهذه الضابطة يحقق الأمور التالية :

الأمر الأول : تطهير المجتمع من العداوات والسلوكيات المنحرفة .

الأمر الثاني : تطهير النفس البشرية من كل الرواسب الجاهلية وعاداتها المضرة .

الأمر الثالث : تحقيق غاية الوصول الى رضا الله تعالى للدخول في العناية الإلهية وذلك من خلال التخلص من الصفات التي تؤدي الى الغضب الإلهي الذي حل على كثير من الأمم السابقة .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٥ – نيسان الأول لسنة ٢٠٢٠

الهوامش

(١) المائدة /٦.
(٢) الأعراف /٢٨.
(٣) الصدوق ، علل الشرائع ، ٢٥٢/١؛ عيون أخبار الرضا،١٠٦/٢.
(٤) نهج البلاغة ، ص٥١٢. ويطابق هذا الكلام خطبة السيدة الزهراء التي ألقتها بعد أستشهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلب فدك منها (عليها السلام) إذ دخلت على أبي بكر وعنده حشد من المهاجرين والأنصار فنيطت دونها ملاءة فألقت خطبتها التي منها في علل الشرائع : (ففرض الايمان تطهيرا من الشرك ، والصلاة تنزيها عن الكبر والزكاة زيادة في الرزق والصيام تثبيتا للاخلاص، والحج تسنية للدين ، والعدل تسكينا للقلوب والطاعة نظاما للملة ، والإمامة لما من الفرقة ، والجهاد عزا للاسلام والصبر معونة على الاستيجاب ، والامر بالمعروف مصلحة للعامة ، وبر الوالدين وقاية عن السخط وصلة الأرحام منماة للعدد والقصاص حقنا للدماء والوفاء للنذر تعرضا للمغفرة ، وتوفيه المكائيل والموازين تغييرا للبخسة، واجتناب قذف المحصنات حجبا عن اللعنة ، ومجانبة السرقة إيجابا للعفة واكل أموال اليتامى إجارة من الظلم ، والعدل في الاحكام ايناسا للرعية . وحرم الله عز وجل الشرك إخلاصا للربوبية فاتقوا الله حق تقاته فيما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه) . ينظر : الجوهري ، السقيفة وفدك ، ص١٤١ ؛ الصدوق ، علل الشرائع ، ٢٤٨/١ ؛ الطبري(الشيعي)، دلائل الإمامة ، ص١١٣ ؛ الإربلي ، كشف الغمة ، ١١٠/٢.
(٥) ينظر : المجلسي ، بحار الانوار ٥٨/٦؛ الريهشري ، ميزان الحكمة ،١٤٢٩/٢.
(٦) ينظر : الصدوق ، علل الشرائع ، صفحاته جميعاً.
(٧) نهج البلاغة ، ص٢٩٢.
(٨) نهج البلاغة ، ص٢٨٧.
(٩) نهج البلاغة ، ص٢٤١.
(١٠) وهذا يتماثل مع قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلَّم) : (عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض) . ينظر : الطبرسي ، الاحتجاج ، ٩٧/١ ؛ ابن شهر آشوب ، مناقب آل ابي طالب ، ٢٦١/٢؛ ابن جبر ، نهج الإيمان ، ص١٨٩.
(١١) ينظر ، ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٣١٧/٣ ؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ، ٨٠/١٠ .
(١٢) الفتن : تحمل معاني كثيرة اغلبها غير سوية وفي جملة ما تعنية : الأثم ، المُمِيلَةُ عن الحق، الإضلال، الكفر، الفضيحة، العذاب، القتل و ما يقع بين الناس من القتال والحروب . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٣١٩/١٣ . وان لكل من هذه الصفات آثار تدميرية في كل أمة وجدت فيها مما سيتوجب الحذر وتجنبها من خلال الأستفادة من تجارب الامم الأخرى .
(١٣) ضِغْثٌ : الجمع أَضْغاثٌ ، الْتِباسُ الشيء بعضه ببعض ، وأَضْغَاثُ أَحلام الرُّؤْيا : التي لا يصحُّ تأْويلها لاختلاطها كما في قولة تعالى " قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ " يوسف/٤٤. ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ٢٨٥/١ ؛ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ٣٦٣/٣ ؛ ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٩٠/٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ١٦٣/٢ .
(١٤) نهج البلاغة ، ص٨٨.
(١٥) ينظر : البيهقي ، معارج نهج البلاغة ، ص٢٨١.
(١٦) الكليني ، الكافي ، ١٠٧/٨؛ الصدوق ، الخصال ، ص٢١١.
(١٧) طه/٨٥.
(١٨) قال تعالى في ذلك: "وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ" البقرة / ٥١. وقوله عز وجل "وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" .الأعراف /١٥٠. وذلك أنه لما طال غياب موسى عن بني اسرائيل ، قال لهم السامري وهو من بني إسرائيل : يا أهل مصر ، إن موسى لا يأتيكم ، فأمرهم بجمع الحلي ففعلوا ذلك وجمعوه ؛ فأخذه ثم صاغه عجلاً ، ثم قذف القبضة التي أخذها من أثر حافر فرس جبرائيل ، عليه السلام ، فخار العجل خورة واحدة ، فأمرهم بعبادته وهكذا اضلهم السامري . ينظر : مقاتل بن سليمان ، تفسير مقاتل بن سليمان،٣٣٨/٢ ؛ الألوسي ، تفسير الألوسي ، ٢٤٧/١٦ .
(١٩) وربما فعلاً بعض الشخوص تخلقوا بذات الصفات التي حملها السامري وغيره من الضالين والمضلين في الأمم المختلفة كما اشارالى ذلك الإمام علي (عليه السلام) حينما قال في الحسن البصري : (أما أن لكل قوم سامري وهذا سامري هذه الأمة) . ينظر : الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢٥١/١ ؛ الفيض الكاشاني ، المحجة البيضاء، ٨٧/١. وفي الشخوص المتطابقة مع الظلمة والمنحرفون امثال فرعون والسامري ايضا في هذه الامة يقول الإمام علي (عليه السلام) : (اني سمعت (رسول الله صلى الله عليه وآله) يقول : تحشر أمتي يوم القيامة على خمس رايات ، فأول راية ترد علي راية فرعون هذه الأمة وهو معاوية ، والثانية مع سامري هذه الأمة وهو عمرو بن العاص، والثالثة مع جاثليق هذه الأمة وهو أبو موسى الأشعري ، والرابعة مع أبي الأعور السلمي ، وأما الخامسة فمعك يا علي تحتها المؤمنون وأنت إمامهم) . ينظر : الصدوق ، الخصال ، ص٥٧٥ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٣٨/٣١ .
(٢٠) البقرة /٤٢.
(٢١) نهج البلاغة ،٢٩٧.
(٢٢) ينظر : ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٢٩٨/٤.
(٢٣) نهج البلاغة ،٢٩٧.

[٢٤] ينظر : ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٢٩٦/٤؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ، ٣٨١/١١ ؛ الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،٢١٣/٣.

[٢٥] البقرة /١٦٨.

[٢٦] نهج البلاغة ، ص٢٩٤.

[٢٧] طمره : الثوب الخلَقُ أو الكساء البالي من غير الصوف والجمع اطمار . ينظر : ابن منظور، لسان العرب ، ٥٠٣/٤ ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ٧٨/٢ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ٧/ ٤٥ .

[٢٨] نهج البلاغة ، ص ٢٩٤ .

[٢٩] ابن ميثم البحراني ،اختيار مصباح السالكين ، ص٤٦١؛ شرح نهج البلاغة ،٢٨٣/٤؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة،٣٩٥/٢؛ محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ،١٤٩/٢.

[٣٠] العلق / ٦-٧ .

[٣١] نهج البلاغة ،ص٢٨٩-٢٩٠.

[٣٢] ينظر: يوسف خليف ، حياة الشعر في الكوفة ، ص١٨٣ .

[٣٣] ينظر : ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٤٩/١٣ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٣/ ١٢١؛ شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة ، ص١١٨.

[٣٤] المجلسي (الأول) ، روضة المتقين ، ٣٥٨/٩ ؛ الفيض الكاشاني ، الوافي ، ٨٦٧/٥.

[٣٥] ينظر : نهج البلاغة ، ص١٠٢.

[٣٦] الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي ، ويكنى أبا محمد الكندي ، واسمة معد يكرب، والأشعث لقبة ، لكونه كان اشعث الرأس ، امه كبشة بنت يزيد ، من ولد الحارث ابن عمرو ، أسر في الزمن الجاهلي وذلك عندما خرج طالباً بثأر أبيه قيس الأشج الذي قتل على يد مراد ، ولكنهم اخطأوا مراداً ووقعوا على بني الحارث بن كعب ، فقتل منهم الكثير وأسر الأشعث ، ثم اطلق سراحه مقابل فدية كبيرة ، قيل كان بعد ذلك ممن وفد علي النبي (ص) سنة عشرة للهجرة ، ولكنة كان ممن ارتد من الكنديين وأسر ، سكن الكوفة وشهد مع الإمام علي (عليه السلام) صفين وهو من اللذين اجبروا الإمام (عليه السلام)على قبول الحكمين ، وهو من الذين اشتركوا في قتل الإمام (عليه السلام)، مات سنة أربعين وقيل اثنين وأربعين مات عن ثلاثة وستين سنة ، ينظر : خليفة بن الخياط ، طبقات خليفة ، ص١٣١؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص٤٢٥-٤٢٦ ؛ ابن الأثير ، الالباب في تهذيب الأنساب ، ٢٣٠/٣ ؛ ابن الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٩٢/١ ؛ ابن حجر ، الأصابة ، ٢٣٩/١.

[٣٧] حائك : حاك يحيك حيكانا ، وحاك في مشه يحيك حيكاً ، فهو حائك وحياك إذا حرك منكبيه وجسده ، تبختر واختال ، فالحائك المتكبر المختال هذا أذا كان من حيك ، إما اذا كان من (حوك) حاك الثوب حوكاً وحياكة : نسجه ، وحاك الشيء في صدري حوكاً : رسخ ، ويقال ما حاك في صدري ما قلت اي رسخ ، والحائك الراسخ في قلبك الذي يهمك . ينظر الجوهري ، الصحاح ، ١٥٨٢/٤ ؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٢٥/٢ ؛ ابن منظور ، لسان العرب، ٤١٨/١٠؛ الرازي ، مختار الصحاح ، ص٩٢ ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ٣٠/٣ . أذن فالمعنى واضح، فإنه أذا كان من (حيك)، فهو متكبر فخور ، مما يعني وجب اللعن عليه قال تعالى "وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ " لقمان /١٨ . ومن كان مبغوضا للَّه تعالى ولرسوله ولوليّه فهو ملعون . وقيل المراد بتعبير الحياكة لنقصان عقله . وقيل : لأنه مظنة الخيانة والكذب . ويمكن أن يكون المراد بالحياكة نسج الكلام فيكون كناية عن كونه كذابا . ينظر : المجلسي ، بحار الأنوار ، ٤٣٢/٣٣ . وهو الأرجح في هذا المقام .

[٣٨] قيل : كان الأشعث في أصحاب الإمام علي (عليه السلام) كعبد الله بن أبي ابن سلول في أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله) كل منهما رأس النفاق في زمنه . ينظر : مغنية ، التفسير الكاشف ، ١٠٤/٢ ؛ محمد عبده ، نهج البلاغة ، ٥٦/١ . حتى قال ابن ابي الحديد : كل فساد كان في خلافة الإمام علي (عليه السلام) ، وكل اضطراب حدث فأصله الأشعث ، ولولا محاقته أمير المؤمنين (عليه السلام) في معنى الحكومة في هذه المرة لم تكن حرب النهروان . ينظر : شرح نهج البلاغة ، ٢/ ٢٧٩-٢٨٠ .

[٣٩] وأما أسر الإسلام له فذلك أن بني وليعة لما ارتدوا بعد موت النبي (صلى الله عليه واله) وقاتلهم زياد بن لبيد البياضي لجأوا إلى الأشعث مستنصرين به فنصرهم ، وخرج إلى زياد في جمع كثيف ، وكتب أبو بكر إلى المهاجر ابن أبي أمية وهو على صنعاء ، أن يسير بمن معه إلى زياد ، فسار إلى زياد ولقوا الأشعث فهزموه وقتل مسروق ، ولجأ الأشعث والباقون إلى الحصن المعروف بالنجير ، فحاصرهم المسلمون حصارا شديدا حتى ضعفوا ، ونزل الأشعث ليلا إلى المهاجر وزياد ، فسألهما الأمان على نفسه ، حتى يقدما به على أبى بكر فيرى فيه رأيه ، على أن يفتح لهم الحصن ويسلم إليهم من فيه وقيل : بل كان في الأمان عشرة من أهل الأشعث . فأمناه وأمضيا شرطه ، ففتح لهم الحصن ، فدخلوه واستنزلوا كل من فيه ، وأخذوا أسلحتهم ، وقالوا للأشعث : اعزل العشرة ، فعزلهم ، فتركوهم وقتلوا الباقين - وكانوا ثمانمائة - ، وحملوا الأشعث إلى أبى بكر موثقا في الحديد هو والعشرة ، فعفا عنه وعنهم ، وزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة - وكانت عمياء - فولدت للأشعث محمدا وإسماعيل وإسحاق . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥٤١/٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٣٨٢/٢ ؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ٢٩٥/١ ؛ محمد عبده ، نهج البلاغة ، ٥٧/١ .

[٤٠] نهج البلاغة ،ص٦١-٦٢.

[٤١] يبدو ان الغدر متأصل في آل الأشعث ابن قيس وأن لهم جذور تأريخية فيه وكأنه ارث يتناقلونه فيما بينهم ، فقد أورد بعض المؤرخين عناوين تخص الغدر واصحابه وكان آل الاشعث الأساس فيه أذ كانوا اعرف الناس في الغدر، وقد عدّت لهم غدرات ،

فمنها : غدر قيس بن معد يكرب بمراد ، وكان بينهم عهد أن لا يغزوهم إلى انقضاء شهر رجب ، فوافاهم قبل الأمد بكندة ، فقتل قيس بن معد يكرب وارتد الأشعث عن الإسلام ، وغدر الأشعث ببنى الحارث بن كعب ، وكان قد غزاهم فأسروه ، ففدى نفسه بمائتى بعير ، فأعطاهم مائة وبقى عليه مائة ، فلم يؤدّها ، وجاء الإسلام فهدم ما كان في الجاهليّة ، وغدر محمد بن الأشعث بمسلم بن عقيل بن أبي طالب (عليه السلام)، وغدر أيضا بأهل طبرستان وكان عبيد الله بن زياد ولّاه إياها ، فصالح أهلها على أن لا يدخلها ورحل عنهم ، ثم عاد إليهم غادرا، فأخذوا عليه الشّعاب ، وقتلوا ابنه أبا بكر ، وغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالحجّاج لما ولّاه خراسان ، وخرج عليه وادعى الخلافة ، وكان بينهم من الوقائع ، وكانت الدائرة على عبد الرحمن ، وكلّهم ورثوا الغدر عن معد يكرب ، فإنه غدر مهرة ، وكان بينه وبينهم عهد إلى أجل، فغزاهم ناقضا لعهدهم ، فقتلوه وبقروا بطنه وملأوه بالحصا ، وغدرت ابنة الضّيزن بن معاوية بأبيها صاحب الحصن ودلّت سابور على طريق فتحه ، ففتحه وقتل أباها وتزوّجها ، ثم قتلها ، ويبدو ان جعدة بنت الأشعث بن قيس ورثت منها هذا الغدر إذ غدرت بالإمام الحسن (عليه السلام) ودست له السم بأمر من معاوية بن ابي سفيان . ينظر : ابن حبيب البغدادي ، المحبر، ص٣٤٤- ٣٤٥؛ البلاذري، انساب الأشراف ، ٥٥/٣؛ النوري، نهاية الأرب ، ٣٦٥/٣-٣٦٦.

(٤٢) ينظر: البيهقي ، معارج نهج البلاغة ، ص١٠٤ -١٠٧؛ قطب الدين الراوندي ، منهاج البراعة ، ١٨١/١؛ ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ١/ ٣٢٣-٣٢٥؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة، ٢٨٣/٣-٢٩٠ ؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة ،١٥٢/١؛ النقوي ، مفتاح السعادة ، ٤٩٦/٤-٥٠٨.

(٤٣) ينظر : ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٣٢٤/١ ؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ، ٢٨٥/٣ .

(٤٤) الكليني ، الكافي ، ٣٤٠/٢ .

قائمة المصادر والمراجع الثانوية

*المصادر الأولية .

- **القرأن الكريم .**
- **ابن الأثير، عز الدىن أبي الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، (ت ٦٣٠ ه/١٢٣٢ م).**

١. الكامل في التاريخ، دار صادر،(بيروت،١٣٨٥ه/١٩٦٥م) .

٢. اللباب في تهذيب الأنساب، تح /د .إحسان عباس، دار صادر (بيروت، د .ت) .

- **ابن الأثير، مجد الدىن أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، (ت ٦٠٦ ه/١٢٠٨) .**

٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، تح /طاهر احمد الزاوي وآخرين، ط ٤، مؤسسة اسماعيليان، (قم،١٣٦٤) .

- **الإربلي ، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، (ت ٦٩٣ ه/١٢٩٣ م) .**

٤. كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط ٢، دار الأضواء، (بيروت، ١٤٠٥ ه -١٩٨٥).

- **البلاذري، احمد بن يحيى، (ت ٢٧٩ ه/٨٩٢ م).**

٥. أنساب الأشراف ، تح /محمد حميد الله، دار المعارف، (مصر، ١٩٥٩ م).

- **البيهقي، أبي الحسن علي بن زيد، (ت ٥٦٥ ه/١١٦٩م) .**

٦. معارج نهج البلاغة، تح/ محمد تقي، ط ١، مكتبة المرعشي، (قم، ١٤٠٩ ه).

- **ابن جبر، زين الدين بن علي بن يوسف، (ت ق ٧ ه / ق ١٣ م) .**

٧. نهج الايمان، تح /السيد أحمد الحسيني، ط ١، مجمع الإمام الهادي (عليه السلام)، (مشهد ، ١٤١٨ه) .

- **الجوهري، أبي بكر أحمد بن عبد العزيز(ت ٣٢٣ هـ/ ٩٣٤م).**

٨. السقيفة وفدك ، تح/محمد هادي الأميني ، ط ٢، (بيروت ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م).

- **الجوهري، ابو نصر إسماعيل بن حماد، (ت ٣٩٣ ه/١٠٠٣ م) .**

٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح /أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين ، (بيروت، ١٤٠٧ه–١٩٨٧م) .

- **ابن حبيب البغدادي، أبو جعفر محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ/٨٥٩ م) .**

١٠. المحبر ، ط١ ،(د.م ، ١٣٦١هـ) .

- **ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢ ه /١٤٤٩ م).**

١١. الإصابة في تمييز الصحابة، تح /عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٥ ه) .

- **ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي، (ت ٦٥٦ ه/١٢٥٧م).**

١٢. شرح نهج البلاغة، تح /محمد ابي الفضل إبراهيم ، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، (د.م ، ١٣٧٨ه /١٩٥٩ م) .

- **ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت ٤٥٦ ه/١٠٦٤ م).**

١٣. جمهرة أنساب العرب، تح / لجنة من العلماء، ط ١، دار الكتب العلمية،(بيروت،١٤٠٣ ه – ١٩٨٣ م) .

- **خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري، (ت ٢٤٠ ه /٨٥٤ م).**

١٤. طبقات خليفة، تح /سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٤ ه /١٩٩٣ م) .

- **الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت ٧٢١ ه/ ١٣٢١م) .**

١٥. مختار الصحاح، تح /أحمد شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٥ه/١٩٩٤م) .

- **ابن شهر آشوب، أبو عبد الله محمد بن علي، (ت ٥٨٨ ه /١١٩٢ م) .**

١٦. مناقب آل ابي طالب، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٧٦ ه /١٩٥٦م).

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٥ – نيسان الأول لسنة ٢٠٢٠

- **الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسىن بن موسى بن بابوبه القمي، (ت٣٨١ه/٩٩١ م) .**

١٧. الخصال، تح /علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٠٣ ه) .

١٨. علل الشرائع ، تح /السىد محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحىدرىة، (النجف الأشرف، ١٣٨٥ ه /١٩٦٦ م) .

١٩. عىون أخبار الرضا، تح /حسىن الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، (بىروت، ١٤٠٤ ه-١٩٨٤ م) .

- **الطبرسي، أبي منصور احمد بن علي بن ابي طالب (ت٥٤٨ه/١١٢٨م) .**

٢٠. الاحتجاج، تح /السىد محمد باقر الخرسان، دار النعمان، (النجف الأشرف،١٣٨٦ه/١٩٦٦م) .

- **الطبري، ابو جعفر محمد بن جرىر، (ت ٣١٠ ه/٩٢٣ م) .**

٢١. تارىخ الرسل والملوك، ط ٤، مؤسسة الأعلمي، (بىروت، ١٤٠٣ ه/١٩٨٣ م).

- **الطبري (الشيعي)، محمد بن جرير بن رستم ، (ت ق٤ه / ق٨م).**

٢٢. دلائل الإمامة ، تح/ قسم الدراسات الإسلامية ، ط١ ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ، (قم ، ١٤١٣ه) .

- **علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، الإمام، (ت ٤٠ ه /٦٦٠ م) .**

٢٣. نهج البلاغة، ضبط /صبحي الصالح، ط ١، (بيروت، ١٣٨٧ه/١٩٦٧م) .

- **ابن فارس، أبو الحسن احمد بن فارس بن زكرىا، (ت ٣٩٥ ه /١٠٠٤ م) .**

٢٤. معجم مقاييس اللغة ، تح/ عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الإعلام الإسلامي، (طهران ، ١٤٠٤هـــ).

- **الفيروز آبادي، مجد الدىن محمد بن ىعقوب الشيرازي ، (ت ٨١٧ ه /١٤١٤ م).**

٢٥. القاموس المحىط، (د .م، د .ت) .

- **الفيض الكاشاني، محمد المحسن، (ت١٠٩١ه/ ١٦٨٠م).**

٢٦. المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، تح/ علي اكبر الغفاري، ط٢،(قم، د.ت).

٢٧. الوافي، تح/ ضياء الحسيني، ط١، مكتبة الإمام أمير المؤمنين(ع)، (اصفهان، ١٤٠٦ه) .

- **قطب الدين الراوندي، أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـــ/١١٧٧م) .**

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٥ – نيسان الأول لسنة ٢٠٢٠

٢٨. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تح/ السيد عبد اللطيف الكوهكمري، مكتبة المرعشي، (قم، ١٤٠٦ه) .

- **الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، (ت ٣٢٩ ه /٩٣٩ م) .**

٢٩. الكافي، تح /علي أكبر الغفاري، ط ٥، دار الكتب الإسلامية، (طهران ، ١٣٦٣) .

- **المجلسي، محمد باقر، (ت ١١١١ ه /١٦٩٩ م) .**

٣٠. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط ٢، مؤسسة الوفاء(بيروت، ١٤٠٣ ه/١٩٨٣م) .

- **المجلسي (الأول) ، محمد تقي، (ت١٠٧٠ه/ ١٦٥٩م) .**

٣١. روضة المتّقين في شرح من لا يحضر الفقيه، تح/ السيد حسين الموسوي وآخرون، (د.م، د.ت) .

- **مقاتل ابن سليمان، (ت١٥٠هـــ/٧٦٧م) .**

٣٢. تفسير مقاتل بن سليمان ، تح/ أحمد فريد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت، ١٤٢٤هـــ/٢٠٠٣م).

- **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت ٧١١ ه /١٣١١ م) .**

٣٣. لسان العرب المحيط، أدب الحوزة، (قم، ١٤٠٥ ه) .

- **ابن ميثم البحراني، ميثم بن علي بن ميثم، (ت ٦٧٩ ه/ ١٢٨٠م).**

٣٤. اختيار مصباح السالكين (شرح نهج البلاغة الوسيط) ،تح/ محمد هادي الأميني، ط ١، مجموعة البحوث الإسلامية، (مشهد، ١٤٠٨ ه) .

٣٥. شرح نهج البلاغة، ط ١، مكتب الإعلام الإسلامي، (قم، ١٣٦٢) .

- **النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٣ ه /١٣٣٣ م) .**

٣٦. نهاية الإرب في فنون الأدب ، وزارة الثقافة والإرشاد، (القاهرة، د .ت) .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٥ – تشرين الأول لسنة ٢٠٢٠

*المراجع الثانوية .

- **الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني (ت١٢٧٠ه/ ١٨٥٣م) .**

٣٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الآلوسي)، (د.م ، د.ت) .

- **حبيب الله الخوئي، الهاشمي، (ت١٤٢٤ه/ ٢٠٠١م) .**

٣٨. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح /سيد إبراهيم الميانجي، ط ٤، دار الهجرة، (قم، د.ت) .

- **الحسيني الشيرازي، محمد، (ت ١٤٢٢ ه/ ١٩٩٩م) .**

٣٩. توضيح نهج البلاغة، دار التراث الشيعية، (طهران، د، ت) .

- **خليف، يوسف .**

٤٠. حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني الهجري، ط٢، (د.م، د.ت) .

- **الريشهري، محمد .**

٤١. ميزان الحكمة،تح/ دار الحديث، ط١، دار الحديث، (قم، ١٤١٦ه) .

- **الزبيدي، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي، ت (١٢٠٥ ه /١٨٩١ م) .**

٤٢. تاج العروس من جواهر القاموس، تح /علي شيري، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٤ ه/١٩٩٤ م) .

- **شمس الدين، محمد مهدي .**

٤٣. دراسات في نهج البلاغة، ط ٢، دار الزهراء، (بيروت، ١٣٩٢ ه/١٩٧٢ م) .

- **عبده، الشيخ محمد .**

٤٤. نهج البلاغة، ط ١، دار الذخائر، (قم، ١٤١٢ ه) .

- **مغنية، محمد جواد،(ت١٤٠٠ ه/ ١٩٧٩م).**

٤٥. التفسير الكاشف، ط ٣، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٨١ م) .

٤٦. في ظلال نهج البلاغة، ط ١، مطبعة ستار، (د . م، ١٤٢٧ ه) .

- **النقوي، محمد تقي الخرساني .**

٤٧. مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، مكتبة المصطفوي، (طهران، د .ت) .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٥ – نيسان الأول لسنة ٢٠٢٠